الدكتور عبد الرحمن العشماوي - السعودية

عناقيد الضياء

هَلَّ الهلالُ فكيفَ ضلَّ السَّاري
وعــلامَ تبقى حَيْرةُ المحتــارِ

ضحـكَ الطريقُ لسالكيهِ فقلتُ مَنْ
يلوي خطاهُ عنِ الطريقِ حذارِ

وتنفسَ الصبحُ الـوضيءُ فلا تسل
عن فرحةِ الأغصانِ والأشجــارِ

غنَّتْ بـواكـيرُ الصباحِ فحركـتْ
شجـوَ الطيورِ ولهفةَ الأزهــارِ

غَـنَّـتْ فمكـةُ وجهـها متألـقٌ
أمـلاً ووجــهُ طغـاتها مُتَـوارِ

هَلَّ الهلالُ فلا العيـونُ تـرددتْ
فيما رأتـهُ ولا العقـولُ تُماري

والجاهليـةُ قد بنتْ أسوارهـا
دونَ الهدى فانظـر إلى الأسـوارِ

واقـرأ عليها سـورةَ الفتـحِ التي
نزلـتْ ولا تركـنْ إلى الكفـارِ

أوَمَـا ترى البطحاءَ تفتحُ قلبهـا
فرحـاً بمقـدمِ سيـدِ الأبـــرارِ

عطشى يلمّظها الحنينُ ولم تـزل
تهفـو إلى غيثِ الهدى الـمِدرارِ

ماذا ترى الصحراءُ في جنحِ الدجى
هي لا ترى إلا الضياءَ الساري

وتـرى على طيفِ المسافر هالـةً
بيضاءَ تسـرقُ لهفـةَ الأنظـارِ

وتـرى عناقيدَ الضيـاءِ ولوحـةً
خضـراءَ قد عرضتْ بغيرِ إطـارِ

هي لا ترى إلا طلوعَ البـدرِ في
غَسَقِ الدجى وسعادةَ الأمصـارِ

ما زلـتُ أسمعها تصوغُ سؤالـها
بعبـارةٍ تخلـو مِـنَ التكـرارِ

هل يستطيعُ الليلُ أنْ يبقـى إذا
ألقـى الصباحُ قصيدةَ الأنـوارِ

ماذا يقولُ حراءُ في الزمـنِ الذي
غلبـتْ عليه شطارةُ الشُطَّـارِ

مـاذا يقـولُ للاتـهم ومناتهـم ؟
مـاذا يقولُ لطغمـةِ الكفـارِ ؟

مـاذا يقولُ ؟ ولم يـزل متحفـزاً
متطلعـاً لخبيئـةِ الأقـــدارِ

طِـبْ يا حـراءُ فلليتيـم حكايـةٌ
نسجتْ ومنكَ بدايـةُ المشـوارِ

أوَمَـا تـراهُ يجيءُ نـحوكَ عابـدًا
متبتلاً لـلـواحـــدِ القهـــارِ

أوَمَا ترى في الليلِ فيضَ دموعـه
أوَمَــا تـرى نـجواهُ بالأسحـارِ

أسمعتَ شيئاً يا حـراءُ عن الفتى
أقــرأتَ عنـهُ دفاتـرَ الأخيـارِ

طِبْ يا حـراءُ فأنتَ أولُ بقعـة
في الأرضِ سـوفَ تفيضُ بـالأسرارِ

طِب يا حِراءُ فأنتَ شاطئُ مركبٍ
مـازالَ يرسـمُ لوحةُ الإبحـارِ

ماجتْ بحارُ الكفرِ حين جـرى على
أمـواجـهـا الـرَّعـنـاءِ في إصـــرارِ

وتسائـلَ الكفارُ حين بدتْ لهـم
في ظلمةِ الأهـواءِ شمعـةُ سـاري

مَـــنْ ذلــك الآتي يمــدُّ لليلنا
قبساً سيكشـفُ عن خبايا الــدارِ

مَنْ ذلـك الآتي يزلـزلُ ملكنـا
ويـرى عبيـدَ الـقـومِ كالأحـرارِ

مـا بـالـهُ يتلـو كلاماً ساحـراً
يغري ويلغـي خطبـةَ استنفارِ

هذا محمـدُ يا قريشُ كأنَّكـم
لـم تعرفـوهُ بعفـةٍ ووقـارِ

هـذا الأمــينُ أتجهـلون نـقـاءهُ
وصــفــاءهُ ووفـــاءهُ للجـــارِ

هـذا الـصَّـدوقُ تطهرت أعماقـهُ
فـأتى ليرفعكـم عـنِ الأقـــذارِ

طِبْ يا حِـراءُ فأنتَ أولُ ساحـةٍ
ستلينُ فيها قسـوةُ الأحجـارِ

سترى توهجَ لحظة الوحي الذي
سيفيضُ بالتبشـيرِ والإنـــذارِ

إقـرأ ألم تسمــع أمـينَ الوحي إذ
نادى الرسولَ فقال لستُ بقاري

إقـرأ فديتكَ يا محمدُ عندمــا
واجـهـتَ هـذا الأمــرَ باستبسارِ

وفديتُ صوتكَ عندما رددتها
آيـاً مِـنَ الـقـرآنِ باسم البـاري

وفديتُ صوتكَ خائفاً متهدجـاً
تدعوا خديجةَ أسرعـي بدثـارِ

وفديتُ صوتكَ ناطقاً بالحـقِّ لم
يمنعكَ مـا لاقـيـتَ مِـنْ إنكـارِ

وفديتُ زهدكَ في مباهجِ عيشهم
وخلو قلبكَ مِـنْ هـوى الدينـارِ

يـا سيدَ الأبـــرارِ حبكَ لوحـةٌ
في خـاطـري صـداحـةُ الأطيـــارِ

والـشـوقُ مـا هـذا بشـوقٍ إنـهُ
في قلبي الولهـانِ جـدوةً نـارِ

حاولتُ إعطاءَ المشاعرِ صـورةً
فتهيَّبتْ مِـنْ وصفها أشعـاري

ماذا يقولُ الشعرُ عن بدرِ الدجى
لمـا يـضيءُ مجالسَ السمـــارِ

يـا سيدَ الأبـــرارِ أمَّـــتكَ التي
حررتها مِـنْ قبضةِ الأشـــــرارِ

وغسلتَ مِنْ درنِ الرذيلةِ ثوبها
وصرفـتَ عنها قسوةَ الإعصـارِ

ورفعتَ بالقرآنِ قـدرَ رجالـهـا
وسقيتهـا بالحـبِّ والإيثـــارِ

يـا سيدَ الأبــرارِ أمَّـتـكَ التـوتْ
في عصــرنا ومضتْ مَـعَ التيــارِ

شربتْ كؤوسَ الـذُلِّ حين تعلقت
بثقافةٍ مسمـومةُ الأفكــارِ

إني أراهــا وهــي تسحبُ ثوبــها
مخدوعةً في قبضـةِ السمســارِ

إني أراهــا تستطيبُ خضوعــها
وتــلـينُ للرهبـانِ والأحــبارِ

إني أرى فيها ملامـحَ خــطةٍ
للمعتدينَ غريبـةِ الأطــوارِ

إني أرى بـدعَ الموالـدِ أصبحـت
داءً يهـددُ منهـجَ الأخــيارِ

وأرى القبـابَ على القــبورِ تطاولت
تغري العيونَ بفنها المعمــاري

يـتـبرّكــونَ بها تــبركَ جــاهـلٍ
أعمى البصـيرةِ فاقدَ الإبصـارِ

فـرقٌ مضللةٌ تـجـسَّـدُ حبهـا
للمصطـفى بالشطحِ والمزمـارِ

أنا لستُ أعرفُ كيف يجمـعُ عاقلٌ
بـين امـتـداحِ نبينا والـطَّـارِ

كـبرتْ دوائـرُ حزننا وتعاظمت
في عـالمٍ أضـحـى بـغـيرِ قـرارِ

إني أقـولُ لمـن يـخـادعُ نفسـهُ
ويعيشُ بين سنابـكِ الأوزارِ

سَـلْ أيها المخدوعُ طيبةُ عندما
بلغتْ مـداهـا ناقـةُ المختـارِ

سـل صوتـها لمـا تـعـالى هاتفاً
وشـدا بألفِ قصيـدةِ استبشـارِ

و اسألْ حنينَ الجذعِ في محرابـهِ
وعنِ الحصى في لحظةِ استغفـارِ

سل صُحبةَ الصّديقِ وَهْـوَ أنيسهُ
في دربـهِ ورفيقـهِ في الغـارِ

سل حمزةَ الأسدَ الهصورَ فعندهُ
خـبرٌ عـنِ الجنـاتِ والأنهــارِ

سل وجـهَ حنظلةَ الغسيلُ فربما
أفـضى إليكَ الوجـهُ بالأســرارِ

سـل مصعباً لمـا تقاصـرَ ثوبهُ
عن جسمـهِ ومضى بنصـفِ إزارِ

سل في ريـاضِ الجنةِ ابن رواحـةٍ
واســأل جناحي جعفـرَ الطيـارِ

سل كلَّ مَنْ رفعوا شعارَ عقيدةٍ
وبها اغتنوا عن رفـعِ كل شعـارِ

سلهم عنِ الحبِّ الصحيحِ ووصفهِ
فلسوفَ تسمعُ صَـادِقَ الأخبـارِ

حُـبُّ الـرسـولِ تمسكٌ بشريعـةٍ
غــرَّاءَ في الإعـــلانِ والإســـــرارِ

حـبُّ الـرسـولِ تعلقٌ بصفاتـهِ
وتخلُّـقٌ بخلائـقِ الأطهـــارِ

حبُّ الرسولُ حقيقةَ يحيا بهـا
قلبُ التَّقـيِّ عميقـةُ الآثـارِ

إحـيـاءُ سنته إقـامـةُ شرعـهِ
في الأرضِ دفعُ الشَّكِّ بالإقـرارِ

إحـيـاءُ سنتهِ حقيقةُ حبـهِ
في القلبِ في الكلماتِ في الأفكـارِ

يـا سيدَ الأبـرارِ حُـبـكَ في دمي
نهرٌ على أرضِ الصبابـةِ جـاري

يا مَـنْ تركتَ لنا المحجةَ نبعها
نبـعُ اليقينِ وليلها كنهـارِ

سُحُبٌ مِنَ الإيمـانِ تنعشُ أرضنا
بالغيثِ حين تخلُّفِ الأمطـارِ

لـك يـا نـبـيَّ الـلـهِ في أعماقنـا
قممٌ مِـنَ الإجـلالِ والإكبـارِ

عهدٌ علينا أنْ نصونَ عقولنـا
عن وهم مبتدعٍ وظنِّ ممـاري

علمتنا معنى الــولاءِ لربنــا
والصبرِ عند تزاحـمِ الأخطــارِ

ورسمتَ للتوحيدِ أكملَ صورةٍ
نفضتْ عنِ الأذهـانِ كلَّ غبـارِ

فـرجـاؤنـا ودعــاؤنــا ويقيننــا
وولاؤنــا لـلـواحــدِ القهــارِ

الدكتور عبد الرحمن العشماوي- السعودية